# من اللسانيات التوليدية إلى اللسانيات العرفانية: تحولات المباحث والمفاهيم

**أ. عبد السلام عابي**
**جامعة محمد بوضياف المسيلة**
abisalim813@yahoo.com

**أ. النذير ضبعي**
**جامعة أم البواقي**

**تاريخ الاستلام: 2017/12/02 تاريخ القبول: 2018/02/02**

**الملخّـص**

تقـرر عنـد الباحثـين اللسـانيين أن نـوام ( تشومسـكي /Noam Chomsky) قـد أحـدث طفـرة في اللسـانيات عندمـا نـأى بنفسـه عـن الدراسـات البنويـة، واختـط لنفسـه منهجـا يقـوم عـلى العقلانيـة والتفسـير، ويـروم الوقـوف عـلى قـدرة العقـل عـلى إنتـاج اللغـة وفهمهـا، وقـد التـف حـول أفـكاره ثلـة مـن الباحثـين والعلـماء الذيـن تبنـوا أفـكاره ووسـعوها، لكـن سرعـان مـا وجهـوا لهـا الكثـير مـن النقـد وبخاصـة لقضيـة "مركزيـة التركيـب" عنـد تشومسـكي، لينخرطـوا في مـا يسـمى بالبحـث العرفـاني.

وقـد جـاء هـذا المقـال ليجـلي شـيئا مـن ذلـك ويبـين أهـم المباحـث التـي ميـزت اللسـانيات العرفانيـة عـن اللسـانيات التوليديـة.

**الكلمات المفاتيح:**

اللسـانيات التوليديـة التحويليـة - العرفانيـة - مركزيـة التركيـب - الدلالـة - البنيـة التصورية.

# De la linguistique générative à la linguistique cognitive: mutation des questions et des concepts


## Résumé

Pour les chercheurs linguistes, Chomsky a certainement fait un bond en avant dans le domaine de la linguistique, en s'étant éloigné des études constructivistes. En effet, il s'est tracé une méthodologie fondée sur le rationalisme et l'interprétation, son objectif était de prouver la capacité de la raison à produire et à comprendre la langue.

De nombreux chercheurs et savants ont adopté ses idées et ils les ont développés. En revanche, ceux-ci ont, rapidement, largement critiqué son approche, notamment" la centralisation de la structure". Ils se sont ainsi inscrits dans la recherche cognitive.

Ce présent article tente d'apporter de l'éclaircissement sur cette question et de faire la lumière sur les principaux tournants qui ont marqué le parcours de la linguistique cognitive.



**Mots clés:**

Linguistique génératives et transformationnelles - cognitives - centralisation de la structure - sémantique - structure superficielle.

# From obsteric linguistics to cognitive linguistics: transformations of investigations and concepts


## Abstract

Many linguistic researchers stated that Noam Chomsky has changed a lot in the field of linguistics. He moved from constructivist studies towards developing a self- dependent approach, based on rationalisme and interpretation. Its main objective was to prove the innate capacity of the mind (brain) to produce and understand language. Many researchers and scholars have adopted and also developed his ideas. But, they have quickly changed their minds and widely criticized this approach. Especially, Chomsky's perspective of the centralization of structure. Then, they were engaged in "cognitive research".

Eventually, this research is conducted for the sake of clarifying thi sambiguity and to shed the light on the major investigations which have differentiated the cognitive linguistics from the generative linguistics.



**Key words:**

Transformational linguistics - cognitive linguistics - generative linguistics - centralization of structures - semantics - the conceptual structure.

**تمهيد**

عُرف عن اللسانيات التوليدية مباينتها لمناهج البحث البنوي التي تغيت النظر في النظام اللغوي معزولا عن سياق استعماله من جهة وعن جملة العمليات العقلية التي تسبق عمليات إنتاج اللغة من جهة أخرى، وقد نظر ( تشومسكي /Noam Chomsky) في العمليات العقلية المنتجة للغة باعتبارها آليات منفصلة عن بقية الآليات العقلية التي تخص الإدراك والتصور والخيال، وجل العمليات التي هي في صميم أبحاث علم النفس المعرفي، وهو الأمر الذي ولد ردة فعل قوية لدى بعض التلاميذ المستثمرين لمفرزات علم النفس المعرفي، ومن أبرز تلك المفرزات الزعم بأن المعرفة اللغوية تندمج ضمن بقية الآليات العقلية، ويحكمها ما يسمى بالبنية التصورية التي تضم المعلومات اللغوية و غير اللغوية .

ومن هذا المنطلق فإن أسئلة كثيرة تتوارد في هذا السياق لعل أبرزها:

- ما الأسس النظرية التي قامت عليها اللسانيات العرفانية ؟
- هل باينت اللسانيات العرفانية اللسانيات التوليدية من حيث: الموضوع المنهج والغاية ؟
- ما هي مباحث اللسانيات التوليدية التي استثمرتها اللسانيات العرفانية ؟
- هل يمكن الزعم بأن اللسانيات التوليدية قد ولى زمانها مع ظهور اللسانيات العرفانية ؟

ليس هينا الزعم بأن اللسانيات العرفانية قد أحدثت قطيعة مع ما جاء به تشومسكي، ذلك أن أصحاب اللسانيات العرفانية هم في الغالب تلامذة تشومسكي، ومع إمكان الانفصال عن آرائه والتفرد بالجديد من الآراء، فإنهم يكونون حتما – ولو على سبيل الفرض العقلي – قد وظفوا شيئا مما تعلموه من تشومسكي في أبحاثهم التي تخص اللسانيات العرفانية.

و بديهي القول إنَّ حدوث القطيعة من عدمها إنما يَفصل فيه المقال إذا أمكن الوقوف على أقوال صرح فيها أصحاب اللسانيات العرفانية - تصريحا واضحا وقاطعا

- بالقطيعة المزعومة ونحسب أن شيئا من ذلك لم يعلم عن واحد منهم. ولما كان الحال كذلك، فإنه لا فكاك من النظر في أهم المفاهيم والرؤى التي ولدها التياران، تيار اللسانيات التوليدية التحويلية، وتيار اللسانيات العرفانية؛ للوقوف على مسارات التحول والنقاط التي ميزت اللسانيات العرفانية عن اللسانيات التوليدية.

## 1. أسس النظرية التوليدية التحويلية ومبادئها

ما يميز البحث اللساني عند تشومسكي هو آراؤه اللسانية الصادمة التي أحدثت قطيعة مع اللسانيات البنيوية، وخالفتها من حيث الموضوعُ والمنهج، وقد وضع تشومسكي "نظرية لسانية جديدة تختلف في تصوراتها الأساس ومنهجيتها التحليلية للظواهر اللغوية عن النظريات السابقة عليها. كما تتجلى هذه القطيعة في المفاهيم والأدوات الإجرائية الدقيقة التي تم اقتراحها لتناول اللغة باعتبارها ملكة بشرية عامة.

وتعيش المحافل اللسانية الدولية منذ (1957) على إيقاع النظرية التوليدية التحويلية وتصوراتها الجديدة في مجال الدراسات اللسانية التي مافتئت تتغير وتتطور نحو مزيد من الضبط و الدقة"[1].

ويقوم تصور تشومسكي لدراسة اللغة، على فكرة مُفادها أن اللغة إنما تنتج على مستوى الذهن، وأن هناك آليات محددة تولد الجمل اللامتناهية، والمقبولة نحويا، ولذلك "حصر تشومسكي في عام 1957 مجال الدراسة في التركيبية وهو يبحث عن بناء نظرية للأبنية اللسانية دون الرجوع إلى لغة مخصوصة، يطلق عليها اسم النحو وأهم أقسامها يتألف من التركيبية .

فالظواهر التركيبية عنده تنتمي إلى مستوى مخصوص مستقل يتميز عن علم الصيغ، وعلم وظائف الأصوات، والدلاليات؛ "فالجملة قد تكون حسنة التكوين تركيبيا لكن خالية من الدلالة مثل الجملة التي يوردها: الأفكار الخضراء التي لا لون لها تنمو بعنف"[2].

إن هـذا التحـول الـذي بـدا جليـا عـلى يـد تشومسـكي يعـد "ثـورة لسـانية معـاصرة، مقرونـة بانتقـال ابسـتمولوجي مـبرر مـن العنايـة بوصـف اللغـة كموضـوع خارجـي، أو مـا يطلـق عليـه تشومسـكي اللغـة الخارجيـة، إلى العنايـة بالكفايـة اللغويـة كنسـق معـرفي يعـد في العمـق آلـة صوريـة تمكـن مـن توليـد عـدد لا محـدود مـن المتواليـات وهـذه الآلـة عبـارة عـن خوارزمـات توليـد وتحليـل" [3].

وقـد حيَّـد تشومسـكي في بدايـة دراسـاته مسـتويات الصـوت، والدلالـة، وركـز عـلى الجانـب التركيبـي، وهـو مـا ضمنـه في كتابـه (البنـى التركيبيـة) الصـادر سـنة 1957، وجعـل مـن التركيـب قطـب الرحـى الـذي تـدور حولـه النظريـة التوليديـة التحويليـة، وبنـاء عـلى هـذا الطـرح فـإن التركيـب قـد اعتـبر "منـذ بدايـة النحـو التوليـدي الخاصيـة المميـزة للغـة، والكـون الـذي يصبـغ عليهـا طابعهـا الإبداعـي، ويحظـى بأعـلى درجـات التعقيـد والتجريـد. وكانـت الاعتبـارات التركيبيـة أسـاس صياغـة المسـائل المركزيـة، والاكتسـاب الفطـري، والاسـتدلال عليهـا، بينـما أنيـط بالصـوت والـصرف عـلى أهميتهـما دور ثانـوي.

وبمـا أن الدلالـة لا يمكـن ترميزهـا مـن خـلال التركيـب؛ فقد تُركـت للدلاليـين الصوريين الذيـن لا يهتمـون في أغلبهـم بالخاصيـة الذهنيـة للغـة" [4]، ولهـذا التوجـه مبرراتـه التاريخيـة التـي تعطيـه شـيئا مـن القـوة؛ ذلـك أن الدراسـات اللسـانية الأمريكيـة قـد تميـزت" باهتمامهـا الشـديد بالدراسـات الصوتيـة، والصرفيـة، والتركيبيـة، مقابـل إغفـال تـام لقضايـا الدلالـة والمعنـى، ومعلـوم أن (زيلـج هاريـس /Zelling Harris) (1909-1993) تلميـذ ( بلومفيلـد/Leonard Bloomfield ) (1887-1949) وأسـتاذ تشومسـكي، كان هـو الآخـر يرفـض أي إحالـة عـلى المعنـى في التحليـل اللغـوي نظـرا لصعوبـة التحقـق العلمـي مـن ماهيـة الحقائـق الدلاليـة للوحـدات اللغويـة "[5].

ومـا لبـث تشومسـكي أن غـير شـيئا مـن آرائـه عـلى فـترات بعـد صـدور كتابـه (البنى التركيبيـة) سـنة 1957، وقـد دفعـت لذلـك دوافـع عـدة، منهـا الدراسـات الهامـة التـي قـام بهـا اللسـانيان (كاتـز/katz ) و( فـودور/ *fodor*)؛ فقـد أصـدرا "مقـالا بعنـوان (بنيـة

النظريـة الدلاليـة - the structure of a semantic theory)، تسـاءلا فيـه عـن موقـع المعنـى في نظريـة تشومسـكي، وفحـوى نظريتهـما أنّ ثمـة مَعَـانِيَ يعـبر عنهـا بمسـتوى صـوري مـن الوصـف اللسـاني مختلـف عـن البنيـة النظميـة يسـمى التمثيـل الـدلالي، وهـذا المسـتوى من البنيـة اللغويـة مقـترن بالبنيـة النظميـة بواسـطة قواعـد الإسـقاط، مـما يعنـي لـزوم العـودة - عنـد إنشـاء الجمـل - إلى معانيهـا الأصليـة التـي صيغـت مـن أجلهـا " [6] .

وبنـاء عـلى هـذه الدراسـات، وغيرهـا، ظهـر كتـاب (مظاهـر النظريـة التركيبيـة) الصـادر سـنة 1965، وقـد اتسـم نمـوذج (المظاهـر) بتوسـع مفاهيـم النظريـة التوليديـة التحويليـة واعتبـار الدلالـة مكونـا تأويليـا، ويطلـق عـلى هـذا المؤلـف تسـمية (النمـوذج المعيـار ) .

والجديـد في هـذا النمـوذج، أنـه يُعـد "أكـثر وضوحـا وعمقا في تحليـل القضايا اللسـانية مـن وجهـة نظـر توليديـة تحويليـة، بـل إنـه أكـثر نضجـا مـن الناحيـة التصوريـة العامـة؛ لأنـه يتضمـن الإطـار العـام للنظريـة التوليديـة في أبعادهـا المختلفـة، وعلاقتهـا وموقفهـا مـن العديـد مـن القضايـا اللسـانية الجوهريـة، عـلاوة عـلى جملـة مـن المفاهيـم النظرية والإجرائيـة التـي ستشـكل أسـاس التصـور التوليـدي؛ فبـه عُرفـت واشـتهرت التقسـيمات المعروفـة: قـدرة إنجـاز، وبنيـة عميقـة، وبنيـة سـطحية، والكليـات اللغويـة، وعلاقـة الدلالـة بالتركيـب، ودور التركيـب في توليـد الجمـل، واسـتقلالية التركيـب، وغيرهـا مـن القضايـا الهامـة التـي تسـم المقاربـة التوليديـة إلى اليـوم "[7].

وفي مرحلـة لاحقـة توسـعت اللسـانيات التوليديـة التحويليـة عنـد تشومسـكي نفسـه، وهـي المرحلـة التـي يطلـق عليهـا مرحلة(النظريـة النموذجيـة الموسـعة)، وقـد نتجـت عـن عـدم الرضـا لـدى تشومسـكي، "خاصـة بعـد الانتقـادات التـي وجهـت إليـه مـن قبـل علـماء الدلالـة، فأعـاد النظـر مـن جديـد في نظريتـه، وعدلهـا وذلـك بوضـع فرضيـات جديـدة لتبسـيط القواعـد التوليديـة التحويليـة، وللتغلـب عـلى هـذه المشـاكل ربـط تشومسـكي التمثيـل الـدلالي بالبنيـة العميقـة والبنيـة السـطحية عـلى حـد السـواء، وذلـك

مـن خـلال:

أ- قاعدة تفسيرية دلالية أولى للبنية العميقة.

ب- قاعدة تفسيرية دلالية ثانية للبنية السطحية" [8].

ثـم ظهـرت نظريـة المبـادئ والوسـائط(1981م) ضمـن التيـار اللسـاني التوليـدي، ولهـا جملـة مـن المبـادئ التـي تميزهـا عـن غيرهـا[9].

وفي آخـر تطـورات اللسـانيات التوليديـة ظهـرت النظريـة الأدنويـة (البرنامـج الأدنـوي) (1993-1995)، ومـن خصائصهـا المميـزة أنهـا جـاءت لتبسـيط النظريـة التوليديـة، وهـي "امتـداد لنظريـة العمـل والربـط، مـن جهـة الكشـف عـن الخصائـص العامـة للملكـة اللغويـة وتدقيـق آليـات اشـتغالها، والمبـادئ العامـة المتحكمـة في بنائهـا" [10].

تلـك هـي أهـم المحطـات التـي مـرت بهـا اللسـانيات التوليديـة، ثـم إن الوقـوف عـلى تفاصيـل ودقائـق هـذه النظريـة يسـتلزم بحوثـا موسـعة تحتـوي أهـم المحطـات التاريخيـة التـي مـرت بهـا اللسـانيات التوليديـة في سـياق البحـث العلمـي الدقيـق، الـذي يقـرب مفاهيمهـا ويجـلي مصطلحاتهـا، وهـو مـا لا يمكـن عرضـه في مقـال يـروم وضـع اللسـانيات المعرفيـة في موقعهـا الصحيـح مـن اللسـانيات التوليديـة.

غـير أن القـول بـأن مركزيـة التركيـب، تعتـبر أهـم ركيـزة قامـت عليهـا اللسـانيات التوليديـة في كل محطاتهـا التاريخيـة، وفي كل التطـورات الحاصلـة لا يعـد - في نظرنـا- مجازفـة؛ ذلـك أن أهـم الانتقـادات التـي وجهـت للسـانيات التوليديـة إنمـا ركـزت عـلى هـذه النقطـة، وجعلـت منهـا منفـذا للطعـن عـلى نظريـة تشومسـكي، كـما فتحـت البـاب واسـعا نحـو مجـالات جديـدة مـن الـدرس اللسـاني الـذي يخـص اللغـة في بعديهـا الذهنـي والبـشري .

وبعـد هـذا العـرض الموجـز لمسـار اللسـانيات التوليديـة في محطاتهـا التاريخيـة، نعـرج الآن عـلى اللسـانيات العرفانيـة لبيـان الصلـة المفترضـة لهـا باللسـانيات التوليديـة مـن عدمهـا .

ولعـل خـير مـن يمثـل هـذا الطـرح هـو اللسـاني الأمريـكي (راي جاكنـدوف/-Jack

ray endoff) الذي عُدَّ واحدا من رواد اللسانيات العرفانية، وقد " تتلمذ على يد تشومسكي وغيره من كبار علماء اللغة، ثم انتقل إلى دراسة علم النفس والفلسفة والموسيقى، وهو يدرس حاليا في جامعة توفتس بالولايات المتحدة الأمريكية حيث يدير بمعية (دانيال دينات/ Daniel Dennett) معهد العلوم العرفانية، بعد أن ترك جامعة برانداييس"[11]

ويحسن قبل تمييز المباحث التي خالف فيها جاكندوف ومن سار على نهجه أن نعرج على اللسانيات العرفانية بيانا وتوضيحا .

## 2. ما اللسانيات العرفانية؟

على الرغم من اختلاف المسميات التي أطلقت على هذا العلم كالعرفانية، العرفنة، المعرفية، فإن الذي يعنينا هو الوقوف على مبادئه وأسسه التي قام عليها، فهو يعد "من العلوم اللغوية الحديثة نسبيا، ويرتبط ارتباطا وثيقا بالدراسات النفسية التي تهتم بعمل الدماغ ومتابعة العمليات العقلية المختلفة التي تتصل بالمعرفة الإنسانية والإدراك بشكل عام.

ولا يقبل أصحاب هذا الاتجاه في دراسة اللغة، على اختلاف منطلقاتهم القول باستقلالية النظام اللغوي؛ فهم يرون أنْ لا انفصال بين المعرفة اللغوية والتفكير بشكل عام"[12].

غدا واضحا أن اللسانيات المعرفية تبحث في الآليات التي يعمل بها الدماغ/ الذهن البشري لتوليد المعرفة واللغة، وذلك في سياق تكاملي مستفيدة في ذلك من كل العلوم وثيقة الصلة بهذه الغاية كعلم الأعصاب والتشريح والرياضيات والحاسوب وبطبيعة الحال اللسانيات .

والمعرفة اللغوية في هذا التيار "جزء من الإدراك العقلي الذي لا يميز بين المعلومات اللغوية والمعلومات غير اللغوية، والذي يتأثر، وبقوة، بمحيط الإنسان وتجاربه اليومية المختلفة؛ فالعمليات العقلية التي تتحكم في التفكير الإنساني وفي تكوين المعرفة بشكل عام هي نفسها التي تتحكم في المعرفة اللغوية وفي تشكيل البنية

اللغوية العامّة بمستوياتها المختلفة. فهناك " مستوى واحد تعالج فيه المعلومات اللغوية والمعلومات الأخرى الحركية والبصرية والسمعية غير اللغوية للوصول إلى مجموعة من المعلومات لا ينبغي التمييز داخلها بين ما هو لغوي وما هو غير لغوي، وهو المستوى الذي يطلق عليه مستوى البنية التصورية conceptual struc-ture" [13]

هذا هو الإطار العام الذي انبثقت منه اللسانيات العرفانية والذي طرح "جاكندوف" أسبابه في كتابه (علم الدلالة والعرفانية)[14]

و بالنظر في ما ميز اللسانيات العرفانية عن اللسانيات التوليدية فإن أهم مظاهر التمايز يمكن صيغتها في العنصرين الآتيين:

**أ- من مركزية التركيب إلى هندسة التوازي:**

بنى تشومسكي نظريته في بداياتها على مركزية (المكون التركيبي)، وقد كان التركيب قطب الرحى الذي درات في فلكه مباحث اللسانيات التوليدية ردحا من الزمن، بينما تعمل المكونات الأخرى الصوت والدلالة في مستوى ثانوي، يقول جاكندوف: "ونعود إلى ما أعتقد أنه الخطأ الذي يقع في صلب النحو التوليدي أقصد الخطأ الذي يقف وراء ابتعاد النظرية اللغوية عن العلوم العرفانية واغترابها فقد برهن تشومسكي على أن اللغة تتطلب نسقا توليديا يسمح بإنتاج ما لا حصر له من الجمل المتنوعة، لكنه دافع دون دليل في كتاب المظاهر عن أن خاصية التوليدية هذه توجد في صلب المكون التركيبي للنحو ـ بناء المركبات من الكلمات ـ وأن الصوتيات (نظام أصوات الكلام) والدلاليات (نظام المعنى) هما مكونان تأويليان فقط؛ أي إن خصائصهما التأليفية لا تعد أصلية، بل مشتقة بكيفية صارمة من تأليفية التركيب"[15]، وفي هذا الصدد تلح اللسانيات العرفانية على مركزية كل المكونات وتؤكد على أن التركيب "في إطار فرضية التوازي، مجرد مكون للغة بين المكونات الأخرى التي يسهم كل واحد منها في إبداعية اللغة وتعقدها وطابعها المجرد" [16].

والحق أن مركزية التركيب تجد شيئا من مبررات السيطرة التي استمرت ردحا من الزمن، فقد كانت "الهندسة القائمة على مركزية التركيب تبدو معقولة في بدايات النحو التوليدي، كانت القواعد الصواتية قواعد مستوى أدنى تعدل نطق الكلمات بعد أن ينظمها المكون التركيبي، ولم تكن هناك نظرية دلالية جادة، واعتبر المعنى مجرد قراءة للبنية التركيبية، فأدت هذه الاعتبارات إضافة إلى الصدى الواسع الذي لاقاه التركيب التحويلي المبكر إلى تعزيز قوة المركزية التركيبية "[17].

ويمكن أن نقترح لبيان نقاط الاختلاف في هذه الجزئية المخطط لآتي:

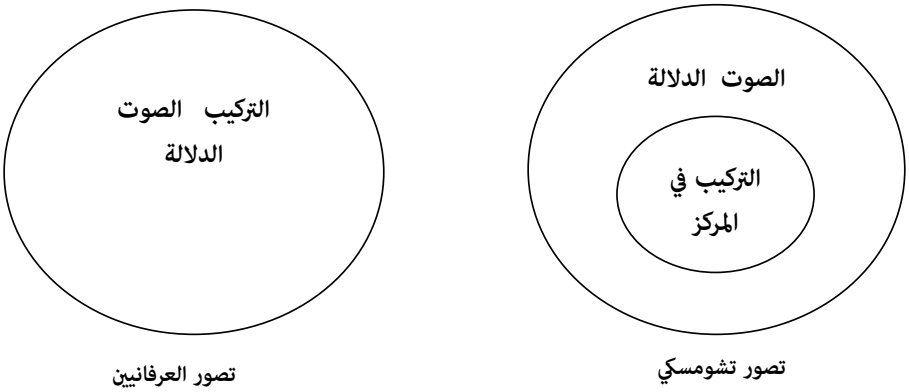


**مخطط رقم 1: نقاط الاختلاف بين تشومسكي والعرفانيين**

تبين الترسيمة الأولى تصور تشومسكي الذي فصل بين التركيب من جهة، والصوت والدلالة من جهة ثانية، جاعلا التركيب في المركز بينما، يخالف العرفانيون ذلك بإعطاء نفس الأهمية للمكونات جميعها، وهو ما تبينه الترسيمة الثانية .

**ب-البنية التصورية، من أحادية المكونات إلى دمجها:**

ينظر تشومسكي لمختلف العمليات الذهنية التي ترافق عمليات التحليل اللغوي على أنها عمليات منفصلة، ولا تمت للتحليل اللساني بصلة، وهو الأمر الذي يخالف ما هو موجود عند أصحاب اللسانيات العرفانية الذين أولوا هذه العمليات أهمية كبرى، واعتبروا الآليات التي تعمل بها كلا متكاملا، يضاف إلى ذلك التركيز على مختلف مباحث علم النفس كالإدراك، والخيال، والتصور وما إلى ذلك، وهي المباحث

التـي حيدهـا تشومسـكي كـما أسـلفنا .

إننـا الآن بصـدد الحديـث عـن مقاربـة جديـدة مؤداهـا أن " معالجة الوحـدات اللغوية وإنشـاءها يقـع إنجازهـما بفضـل عـدد مـن القـدرات الذهنيـة العامـة التـي لا تخـص نشـاط الإنسـان اللغـوي فحسـب، وإنمـا تهـم مختلـف الأنشـطة التـي يقـوم بهـا في كل ميادين المعرفـة وحتـى في حياتـه اليوميـة "[18]، فهـذا الطـرح يعطـي لمباحـث اللسـانيات بعـدا شـموليا ينـدرج ضمـن مباحـث علـم النفـس المعـرفي، ويجعـل الاسـتمداد مـن علـوم كثـيرة أمـرا مشروعـا كعلـم الأعصـاب وعلـم التشريـح وعلـوم الطبيعـة وغيرهـا، وهـو الأمـر الـذي نـرى دائرتـه ضيقـة إلى أبعـد الحـدود في الفكـر اللسـاني التوليـدي وبخاصـة إذا مـا عددنـا العلـوم التـي نهلـت منهـا اللسـانيات التوليديـة و عـلى رأسـها الرياضيـات .

وتعتبر(البنيـة التصوريـة) واحـدة مـن أهـم المباحـث التـي تميـز البحـث اللسـاني العرفـاني عـن البحـث اللسـاني التوليـدي، وكان تشومسـكي قـد ألـح عـلى انفصـال الآليـات اللغويـة المسـؤولة عـن إنتـاج اللغـة في الدمـاغ وفهمهـا، مـا يعنـي أن إنتـاج اللغـة وفهمهـا عنـده تتـم عـلى مسـتوى جهـاز مفصـول عـن بقيـة العمليـات الذهنيـة كالإدراك والخيـال والتصـور وغيرهـا.

غـير أن الأمـر عنـد العرفانيـين بخـلاف ذلـك فـكل العمليـات الذهنيـة -بمـا فيهـا اللغويـة -تتـم عـلى مسـتوى البنيـة التصوريـة، وهـي "ليسـت جـزءا مـن اللغـة في حـد ذاتهـا، إنمـا هـي جـزء مـن الفكـر. إنهـا المحـل الـذي يتـم فيـه فهـم الأقـوال اللغويـة في سـياقاتها، بمـا في ذلـك الاعتبـارات الذريعيـة والمعرفـة الموسـوعية؛ إنهـا البنيـة المعرفيـة التـي ينبنـي عليهـا التفكـير والتخطيـط "[19]، وتخـص البنيـة التصوريـة عنـد العرفانيـين كل المعـارف التـي تتـم صناعتهـا في الذهـن ولهـا علاقـة بتجـارب الإنسـان في المواقـف الحياتيـة المختلفـة، كـما أن " مبـادئ البنيـة التصوريـة تنسـحب عـلى معرفتنـا بـكل أنـواع الدلائـل واسـتعمالها. فهـي تتعلـق بتجاربنـا الفكريـة والجماليـة والحسـية مـع اللـون والحجـم والهيئـة والصـوت . . . إنهـا تهـم مختلـف أنسـاقنا المعرفيـة والإدراكيـة"[20].

يمكن أن نمثل لتصور إنتاج اللغة وفهمها في المنجزين التوليدي والعرفاني بالمخطط الآتي:

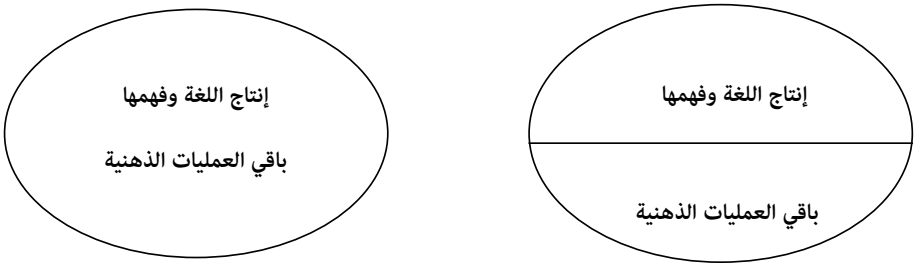


تصور تشومسكي ( البنية التصورية ) تصور العرفانيين

**مخطط 2: تصور إنتاج اللغة وفهمها في المنجزين التوليدي والعرفاني**

ويمكن في هذا السياق رصد أهم نقاط الاختلاف بين المنجزين التوليدي والعرفاني وضبطها وذلك من خلال كتاب (النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة)[12] على النحو التالي:

| في اللسانيات التوليدية | في اللسانيات المعرفية |
|---|---|
| ب- الصوت والدلالة مكونان تأويليان في مرتبة أقل من مرتبة التركيب الذي يحتل مكانة مركزية.<br>ت- إنتاج اللغة وفهمها يتم بمعزل عن بقية العمليات الذهنية | ث- الصوت والدلالة مكونان موازيان للتركيب ويحتلان المكانة نفسها.<br>ج- المعنى في نظرية الدلالة التصورية عبارة عن تمثيلات ذهنية مبنية في صورة تنظيم معرفي هو البنية التصورية وهي ليست جزءا من اللغة وإنما هي جزء من الفكر. |

وختاما فإن الملاحظ لمسيرة النظرية التوليدية وأهم المفاهيم التي ركزت عليها يلاحظ أن اللسانيات العرفانية لم تأت على أنقاضها، ولم تأت مباينة لها، وعليه فإن الأمر "لا يتعلق باتجاه لساني جديد مجاوز لقديم، ولا بما هو أكثر تطورا أو أقل قيمة، ولا بنظرية لسانية أحسن، ولا بنظرية أسوأ، إنما الأمر أن اللغة لتعقداتها وصعوبات حصرها تحتاج إلى مقاربات مختلفة، وهي مقاربات وإن ألحت على

وجـوه اختلافهـا، فكثـيرا مـا انتهـت إلى ترسـيخ أفـكار مشـتركة بينهـا، تعـبر أكـثر مـن غيرهـا عـن تقـدم الإنسـانية في فهـم اللغـة"[22].

إن تغيـير بعـض المفاهيـم أو توسـيعها لا يعنـي البتـة حـدوث قطيعـة بـين منجـزات تشومسـكي ومنجـزات تلاميـذه، فتركيـز تشومسـكي عـلى مركـب بعينـه وإعطـاؤه صفـة المركزيـة لـه مبرراتـه التاريخيـة والمعرفيـة ولـه أسـبابه التـي تصـب في خانـة تراكبيـة العلـوم وصيرورتهـا، إذ لا يُتصـور توقـف عجلـة اللسـانيات التوليديـة عنـد مـا قـرره تشومسـكي في البنـى التركيبيـة عـام 1957 وبخاصـة مـع التطـور المتزايـد الـذي تعرفـه العلـوم الإنسـانية .

واللافـت للنظـر أن (جاكنـدوف) وهـو أحـد منظـري اللسـانيات العرفانيـة قـد وُضـع عنـوة عنـد بعـض الدارسـين في خانـة مـن خالفـوا تشومسـكي، مـع أن الظاهـر مـن خـلال أعمالـه المتأخـرة (1997-2002) هو"سـعيه إلى شرح إشـارات تضمنهـا البرنامـج الأدنـوي، وتعميـق النظـر فيهـا ليتخذهـا سـبيلا عـلى إقامـة تصـور نظـري يسـتمد حصانتـه مـن الخـوض فيهـا بإثبـات الانتـماء إلى المؤسسـة التوليديـة، ويثبـت خصوصيتـه وقوتـه مـن مـوارد نظريـة أخـرى ليسـتوي في نهايـة المطـاف قاطـرة تجـذب البحـث التوليـدي إلى أرضيـة نفسـية عرفانيـة موسـعة. ولذلـك نجـد في كتاباتـه مـا بـه يكـون التابـع المخلـص لتشومسـكي والخـارج عنـه في آن واحـد" [23].

وقـد بـدا جليـا الآن، أن اللسـانيات العرفانيـة إنمـا حاولـت جـر اللسـانيات التوليديـة إلى حقـل العلـوم المعرفيـة التـي وسـعت مجـال الدراسـة أكـثر، كـما أن أحـد" الأهـداف الرئيسـة التـي تتوخـى نظريـة الدلالـة التصوريـة تحقيقهـا هـو إعـادة إدمـاج النحـو التوليـدي، بمـا في ذلـك نظريـة الدلالـة في العلـوم العصبيـة والمعرفيـة بكيفيـة تجعلـه يتـلاءم بصـورة طبيعيـة مـع الهندسـة الواسـعة للذهـن /الدمـاغ، وذلـك وفـاء بوعـد قطعتـه اللسـانيات التوليديـة عـلى نفسـها منـذ كتـاب تشومسـكي (مظاهـر النظريـة التركيبيـة) سـنة 1965 الـذي جـاء فيـه: لنلاحـظ أننـا لا نقصـد طبعـا أن وظائـف اكتسـاب اللغـة تنجزهـا مكونـات منفصلـة تمامـا في الذهن المجـرد أو الدمـاغ الفيزيـائي. . . وبالفعل

فمن مشاكل علم النفس الهامة أن نحدد إلى أي حد تقتسم مظاهر أخرى للمعرفة خصائص اكتساب اللغة واستعمالها، وأن نحاول في هذا الاتجاه، تطوير نظرية للذهن أغنى وأوسع "[24].

تلك هي الحقيقة التي ربما غيبت في كثير من الدارسات التي تخص اللسانيات العرفانية، وهي الحقيقة التي تؤكد على أن الصلة بين المنجزين قوية متجذرة، وإن تباينت كثير من البحوث في المنجزين، لكن الأطر العامة التي تحكم المنجزين واحدة، وهو ما يجيز لنا وصف العلاقة بينهما بعلاقة الامتداد لا القطيعة .

## الإحالات

-1 مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010م، ص 1.

2- كاترين فوك و بيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ترجمة:المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص77.

3- حافظ إسماعيل علوي، أمحمد الملاخ، قضايا إبستمولجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2009م، ص 92.

4- محمد غاليم، النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007، ص 15.

5- اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، مرجع سابق، ص34.

6- نسيمة شمام، النظريات الدلالية في القواعد التوليدية التحويلية مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، العدد السادس عشر، ديسمبر 2014، ص102-103

7- اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، مرجع سابق، ص 96

8- نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة دط، دت، ص161.

9- ينظر: اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، ص 197، 198.

10- اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، ص365.

11- راي جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، ترجمة: عبد الرزاق بنور، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010، ص5

12- إبراهيم النجار، آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي، مجلة الملك سعود، م17، كلية الآداب، 2004، ص2.

13- آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي، مرجع سابق،

ص 5.

14- ينظر: علم الدلالة والعرفانية، ص 47 ومابعدها .

15- جاكندوف ضد تشومسكي، مقال منشور على الانترنت، http://mustafahaddad. blog-post_15.html0/05/blogspot.com/2007

16- النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، مرجع سابق، ص15

17- السابق، ص19

18- عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2010، ص39

19- مجموعة مؤلفين، آفاق اللسانيات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2011ص 57-58

20- محمد غاليم، التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987، ص92

21- ينظر: النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، مرجع سابق، ص 17/16/15

22- مدخل إلى النحو العرفاني، مرجع سابق، ص9

23- الزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، الدار العربية للعلوم ناشرون، ص63.

24- آفاق اللسانيات، مرجع سابق، ص54.